يا شباب الأمة حافظوا على نعمة سلامة الفطرة، من الأفكار الهدامة، والمذاهب الضالة، كفكر

الخوارج ودعاة الإرهاب على مصطلح العصر، وفكر رواد الاستئصال وأهل الشرور

إنّ الحمدَ لله، نحمَدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ مِن شرورِ أنفسِنا، ومِن سيِّئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مضل له، ومَن يُضلل فلا هادي لـــه.

وأشهـــدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبدُه ورسوله صلى الله عليه وسلم.

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاته وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)) [آل عمران 102.]

((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِه وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً))[النساء:1.]

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً)) الأحزاب:70-71.]

أما بعد: فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهديِ هديُ محمدٍ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلالة، وكلَّ ضلالةٍ في النار.

إنّ الله تعالى خلق الخلق على الفطرة السليمة، وهي الحنفية المتضمنة لكمال حبه والخضوع له وكمال طاعته وحده دون غيره، وهذا من الحق الذي خلقت له، كما قال جلّ جلاله: (فأقم وجهك للدّين حنيفا فطرت الله التي فطر النّاس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيّم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) [الروم30.]

قال الشيخ السّعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية: (فإن جميع أحكام الشّرع الظاهرة والباطنة قد وضع الله في قلوب الخلق كلهم الميل إليها، فوضع في قلوبهم محبة الحق وإيثار الحق، وهذا حقيقة الفطرة، ومن خرج عن هذا الأصل فلعارض عرض لفطرته أفسدها....

وأخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما بسندهما إلى أبي هريرة عن النبي أنه قال: كل مولود يولد على الفطرة.

وعن عياض بن حمار أن رسول الله قال: (إن ربّي علمني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني في هذا اليوم، كلّ مال نحلته عبادي حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلّهم، وإنّهم أتتهم الشياطين فأضلتهم عن دينهم). رواه الإمام أحمد ومسلم في صحيحه.

قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رادا على ابن سينا وأضرابه من الجهمية في درء التعارض العقل والنقل(62/5ط محمد رشاد سالم): (فإن الله تعالى نصب على الحقّ الأدلة والأعلام الفارقة بين الحق والنور،

وبين الباطل والظلام، وجعل فطر عباده مستعدة لإدراك الحقائق ومعرفتها، ولولا ما في القلوب من الاستعداد لمعرفة الحقائق، لم يكن النظر والاستدلال ولا الخطاب والكلام، كما أنه سبحانه جعل الأبدان مستعدة للاغتذاء بالطعام والشراب، ولولا ذلك لما أمكن تغذيتها وتربيتها، وكما أن في الأبدان قوة تفرقّ بين الغذاء الملائم والمنافي، ففي القلوب قوة تفرق بين الحق والباطل أعظم من ذلك.

وقال كذلك رحمه الله في الدرء :(6/67) وفطر العبادِ مجبولةٌ على محبته، لكن منهم من فسدت فطرته.

وقال أيضا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى (338/16): (فالعلم بالحق يدعو صاحبه إلى اتباعه، فإن الحق محبوب في الفطرة، وهو أحب إليها، وأجل فيها، وألذّ عندها من الباطل الذي لا حقيقة له، فإن الفطرة لا تحب ذلك.

إن الفطرةَ السليمة، ولذةَ الانقياد للحق، وحبّ الخير، وزرع الفضيلة، وكراهية الفساد؛ يزيدها الشرع الحكيم تأييدا وقوة وثباتا، كما قال الله تعالى في سورة هود [17]: (أفمن كان على بينة من ربّه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة أولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الأحزاب فالنّار موعده.

قال الإمامُ ابن كثير في تفسير آية سورة هود: (وذلك أن المؤمن عنده من الفطرة ما يشهد للشريعة من حيث الجملة، والتفاصيل تؤخذ من الشريعة، والفطرة تصدقها وتؤمن بها.

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية: (أفمن كان على بينة من ربه) بالوحي الذي أنزل اللهُ فيه المسائل المهمة، ودلائلها الظاهرة، فيتيقن تلك البينة، (ويتلوه)؛ أي :يتلو هذه البيّنة والبرهان برهان آخر، (شاهد منه): وهو شاهد الفطرة المستقيمة والعقل الصحيح....

وقال شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى :(10/146) ولابد لهذه الفطرة والخلقة_وهي صحة الخلقة_ من قوت وغذاء يمدّها بنظير ما فيها مما فطرت عليه علما وعملا؛ ولهذا كان تمام الدين بالفطرة المكملة بالشريعة المترلة.

وقال ابنُ قيِّم الجوزية يرحمه الله في مفتاح دار السعادة ص423.. فأولياؤه وخاصته وحزبه لما شهدت عقولهم وفطرهم أنه أهل أن يعبد وإن لم يرسل إليهم رسولا ولم يترل عليهم كتابا ولو لم يخلق جنة أو نارا، علموا أنه لا شيء في العقول والفطر أحسن من عبادته، ولا أقبح من الإعراض عنه، وجاءت الرسل وأنزلت الكتب لتقرير ما استودع سبحانه في الفطر والعقول من ذلك وتكميله وتفضيله وزيادته حسنا إلى حسنه، فاتفقت شريعته وفطرته وتطابقا، وتوافقا وظهر أنهما من مشكاة واحدة، فعبدوه وأحبوه ومجدوه وحمدوه بداعي الفطرة وداعي الشرع وداعي العقل ...

قلت وبالله التوفيق: فإن الواجب على من أراد لنفسه السّلامة من كل داءٍ وعاهةٍ؛ الحفاظ على سلامة فطرته، التي هي الشاهد على البينة التي جاء بها النبي ، والحذرُ كلّ الحذر من الأسباب التي تصده عن قبول الحق والانقياد له، فإن العبد إذا بقي مطبوعا على قصد الحق فإنه بإذن الله تعالى سيؤثر الهدى الرباني على غيره من

الهواجس البشرية التي لا دليل يدل على صدقها ونفعها للإنسانية.
قال أبو محمد بن حزم رحمه الله في مدواة النفوس (ص31): أفضل نعم الله على العبد أن يطبعه على العدل وحبه، وعلى الحق وإيثاره.
وقال ابن قيّم الجوزية رحمه الله في الجواب الكافي (ص139): (فإنّ الكمال الإنساني مدارُه على أصلين: معرفة الحق من الباطل، وإيثاره عليه، وما تفاوت منازل الخلق عند الله تعالى في الدنيا والآخرة إلا بقدر تفاوت منازلهم في هذين الأمرين، وهما اللذان أثنى الله سبحانه على أنبيائه بهما في قوله تعالى: ((واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار))، فالأيدي: القوة في تنفيذ الحق، والأبصار: البصائر في الدين، فوصفهم بكمال إدراك الحق، وكمال تنفيذه.
ولقد لاحظنا كثيرا من الشباب المساكين كانوا على فطرة سليمة، وطبعٍ قابلٍ لحمل الحق ونصرته، ولكن حين خالطوا أهل الشبهات والهواجس، وسلّموا سمعهم لكل متكلم ومدلس، وأضحوا عاكفين على شرائط الفيديو للأحداث الأفغانية الزائفة، والمعارك الشيشانية الخاصة بإقليمهم والآنية، والفتن العراقية الدامية، ويتجولون بين المجالات الهالكة في طرحها، وكتب أهل الفكر المنحرف، ككتب سيد قطب المصري، وأبي قتادة الفلسطيني، وأبي بصير الخارجي، وكلّ ثوري ثائر وضيق الصدر على أمته الضعيفة، والناس أسراب طير يتبع بعضها بعضا، حتى ولو ظهر لهؤلاء الشباب من يدّعي النبوة مع اعترافهم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء، أو من يدّعي الربوبية لوجدت على ذلك أتباعا وأشياعا والله المستعان، ولما كان حال الشباب كما عرفت فسد طبعهم، وتغير مزاجهم، ولقست أنفسهم عن طلب الحق، وتغيرت فطرتهم، وصاروا كالشاة العائرة يتململون بين الحق والباطل، وأمسوا يغمزون في علماء الأمة بعبارات خفيّة وسامّة وجارحة، ويُجهدون أنفسهم في جمع عرفيج أهل الباطل والأهواء في أهل الحق ليسقطوا هيبة العلماء وأنصارهم من طلاّب العلم النجباء، بل؛ وكأنهم حقنوا بمصل الحقد على أهل السنة وحُكّامها، وجُنِّدوا لمحاربة كلّ حكيم يخاف على ثوابت أمته أن يُعبث بها، أو أن تصير في أيدي أهل الشّرور والفتن، والله العاصم من الضلال .
وصدق ابن قيّم الجوزية رحمه الله حين قال: إنّ العبد إذا اعتاد سماع الباطل وقبوله، أكسبه ذلك تحريفا للحقّ عن مواضعه.
ولهذا يجب على شباب الأمّة الإسلامية جميعا أن يتجنَّبوا عوامل فساد الفطرة، وأن يرتووا من العلم الشرعي الصّافي من الشوائب والعلائق، والمغذي للفطرة السليمة، والمأخوذ من مشكاة النبوة على فهم السلف الأخيار، حتى يتهذب سلوكهم للسير على طريق العبودية، ويتضح حالُهم المشرقُ للموالي والمعادي، وتقوى هممهم لبناء أوطانهم على أساس العلم النافع والعمل الصالح، وأمارة ذلك التأدبُ بآداب الإسلام، والوقوفُ مع الحق وتحكيمُه ظاهرا وباطنا، والمسيُر معه حيث سار بهم ركابُه، والاعتدالُ والاتزانُ في الأقوال والأفعال والأحوال.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فمتابعة الآثار فيها الاعتدال والائتلاف والتوسط الذي هو أفضل الأمور

وأما والعياذ بالله إذا كان حالُ الشباب الخلطَ في التلقي، والتغذي بكل ما يجدونه من خبيث وفاسد، والاحتكاك بالملوث والأجرب، فإن الأمر سيؤول بهم إلى فساد الفطرة والحال والطبع، والوقوع في الكدر، والاتصاف بالتلون، وفقدان الصفاء، والغيرة على الوطن.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الاقتضاء بعد ما بيّـــن خطورة التشبه بالمجرمين في أحوالهم وأعيادهم: (...و الشرائع هي غذاء القلوب وقوتها كما قال ابن مسعود رضي الله عنه ويرويه مرفوعا: (إنّ كل آدب يحب أن تؤتى مأدبته وإنّ مأدبة الله هي القرآن) [والأثر فيه مقال] ومن شأن الجسد إذا كان جائعا فأخذ من الطعام حاجته استغنى عن طعام آخر، حتى لا يأكله إن أكل منه إلا بكراهة وتجشم، وربما ضره أكله، أو لم ينتفع به، و لم يكن هو المغذي له الذي يقيم بدنه، فالعبد إذا أخذ من غير الأعمال المشروعة بعض حاجته قلَّت رغبته في المشروع وانتفاعه به، بقدر ما اعتاض من غيره، بخلاف من صرف نهمته وهمته إلى المشروع، فإنه تعظم محبته له، ومنفعته به، ويتم دينه، ويكمل إسلامه، ولذا تجد من أكثر سماع القصائد لطلب صلاح قلبه تنقص رغبته في سماع القرآن، حتى ربما كرهه، ومن كثر من السفر إلى زيارات المشاهد ونحوها لا يبقى لحج البيت الحرام في قلبه من المحبة والتعظيم ما يكون في قلب من وسعته السنة، ومن أدمن على أخذ الحكمة والآداب من كلام حكماء فارس والروم، لا يبقى لحكمة الإسلام وآدابه في قلبه ذاك الموقع، ومن أدمن قصص الملوك وسيرهم لا يبقى لقصص الأنبياء وسيرهم في قلبه الاهتمام ونظير هذا كثير) اهـــ.

وقال رحمه الله في درء التعارض بعد ما بين أن بيان الرسول لا يتم إلا بدفع المعارض العقلي(فإن الغذاء لا ينفعه -أي المريض- مع وجود الأخلاط الفاسدة التي تفسد الغذاء....

قلت محذرا: إنّ كلَّ شاب اعتاد مجالسة أهل الباطل والاحتكاك بهم، والاختلاط بأصحاب الفكر المنحرف عن الحق على الدوام، مع مجاراتهم على سلوكهم النازل، والخوف من الردّ عليهم لكسب جانب من أتباعهم وأنصارهم، والاعتداد بالنفس ورفعها إلى مقام العصمة والبعد عن التأثر، مع الأخلاط التي تحملها بسبب القرب من أهل الضلال، زدّ إلى ذلك خوائها من العلم الشرعي الواقي من الشبه، مع أن النفوس تتأسى بما تشاهده من أحوال أبناء الجنس كما قال ابن رجب رحمه الله؛ تفسد فطرته، وتظهر عليه علامة التلون والكدر، والتنقل من حال إلى حال أسوء منه، وتصير نظرته إلى أمته سوداء وقاتمة، ويمسي والعياذ بالله يعيب الناس بما يأتون، ويبصر القذى في عيون الناس، وعيناه تطرفان على الأجذاع، لا يتقن إلا القدح وإظهار العيوب، ويكون شعاره هلك الناس..هلك الناس، بل قد يدخله الفكرُ المنحرف في أمراض نفسية خطيرة يصعب الخروج منها، وما نراه في سلوك كثيرٍ من الشّباب من طيش واضطراب في الأقوال والأفعال والأحوال إلا بسبب المخالطة لأصحاب الأفكار الهدامة التي أفسدت فطرتهم وغيرتها، وجعلت على قلوبهم الران، والله المستعان والواقي من شرّ أفكار أصحاب الفتن والنيران.

قال ابن قيم الجوزية رحمه الله :وكم جلبت خلطة الناس من نقمة، ودفعت من نعمة، وأنزلت من محنة،

وعطلت من منحة، وأحلّت من رزية، وأوقعت في بلية، وهل آفة الناس إلا الناس؟ وهل كان على أبي طالب عند الوفاة أضرّ من قرناء السوء؟ لم يزالوا به حتّى حالوا بينه وبين كلمة واحدة توجب له سعادة الأبد.

قال ابن عطار: قال النووي رحمه الله: وخطر لي الاشتغال بعلم الطبّ، فاشتريت القانون لابن سينا، وعزمت على الاشتغال فيه، فأظلم علي قلبي، وبقيت أياما لا أقدر على الاشتغال بشيء، ففكرت في أمري ومن أين دخل علي الداخل، فألهمني الله تعالى أن سببه اشتغالي بالطب، فبعت في الحال الكتاب المذكور، وأخرجت من بيتي كل ما يتعلق بالطب، فاستنار قلبي، ورجع إلي حالي، وعدت إلى ما كنت عليه أولا.

قلت: هذا حال النووي الفقيه حين قرأ كتب ابن سينا المليئة بالضلال، وعفن الإسماعيلية والقرامطة الباطنية، فكيف يكون حال شبابنا المسكين حين يعكفون على كتب سيد قطب وأضرابه المنحرفين؟، فاللهمّ سلِّم سلّم.

وقال ابنُ قيّم الجوزية رحمه الله في الرسالة التبوكية: ومن أراد هذا السفر فعليه بمرافقة الأموات الذين هم في العالم أحياء، فإنه يبلغ بمرافقتهم إلى مقصده، وليحذر من مرافقة الأحياء الذين هم في الناس أموات، فإنهم يقطعون عليه طريقه، فليس لهذا السالك أنفع من تلك المرافقة، وأوفق له من هذه المفارقة

وأختم مقالي بدعاء المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي في صحيح مسلم: اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر.

وكتبه أبو عبد الباري عبد الحميد أحمد العربي الجزائري